

الهوسبفي العربيّة وفنصبتنا الإبتصال والنواصل مع التراث

أ. خلفان بن أحمد البرواني^١

تمهيد

إنّ هذا البحث هو حصيلة لخبرة عملية عمرها عشرون عاما في مجال جمع وتوثيق الموسيقى التقليدية لسلطنة عُمان.

عندما نقول أنّ هناك عوائق حالت دون وصول الموسيقى العربية إلى أجيال الشباب العربي، فمعنى هذا أنّه في زمن ما لم تكن هناك عوائق تمنع وصول هذه الموسيقى لأجيال شبابها، فمن غير المعقول أن هذه العوائق كانت قائمة منذ نشأ مفهوم وجود شباب عربي، أي منذ بدايات تكوين الأسرة العربية بأشكالها المتمثلة في المدينة والقرية والبادية والساحل والجبل.

ويؤكد الواقع أنّ الشباب العربي في الريف أو القرية كان يعيش مرتبطا بعاداته وتقاليده دون تأثير خارجي يعيقه من تطبيق تلك العادات والتقاليد ومعايشتها. وكانت الموسيقى في مفهوم الشباب هو ما يستمتع إليه ويراه من ممارسات موسيقية حيّة داخل قريته والتي تعبّر عن ذاته. هذه الموسيقى هي التي تسمى اليوم بالموسيقى التقليدية أو الشعبية (Traditional Music).

هذا ويؤكد الواقع أيضا أنّ ارتباط الموسيقى الشعبية بأبناء القرية يعدّ ارتباطا عريقا للغاية، لأنّه ارتباط ممزوج بعادات وتقاليد القرية الضاربة في عمق التاريخ والراسخة فيه. وتمّ

^١ - مدير مركز عُمان للموسيقى التقليدية - سلطنة عُمان.

هذا من خلال ممارسة الموروث الموسيقي المرتبط بالمناسبات الاحتفالية الكثيرة داخل المجتمع القروي.

ويجدر الذكر هنا أيضا أنه لا توجد ممارسة للموروث الموسيقي دون أن تكون هناك حاجة ملحة لها أو مناسبة تستدعي الاحتفال بها. فلولا قسوة الصحراء لدى البدو الرحّل وحاجة البدوي إلى تسلية نفسه والتغني ببيئته أو تذكّر محبوبته أو التغني بعشيرته، وذلك أثناء انتقاله بحثا عن الماء والعشب والطعام، لما وصلت إلينا أشعاره وغناؤه الذي يعدّ اليوم تراثا ثريا للبادية العربية. كما أن حاجة القروي إلى الاحتفال بيوم زواجه - الذي يحدث مرّة في العمر - هي الدفعة التي فجّرت طاقات الإبداع الفنية داخله.

إنّ الفنان الشعبي المغمور - والذي لا يذكر حتّى من قبل معاصريه - حول واقعه وبهجة عاداته وتقاليده إلى إيقاعات وأشعار وألحان وغناء وتشكيلات فنية راقصة. فالموسيقى التقليدية إذن عبارة عن نسيج راسخ لعناصر مبنية على أسس عريقة اتفق عليها الناس وتوارثتها الأجيال جيل من بعد جيل.

ندرك من الموجز السابق أنّ الشباب العربي في العهود السابقة قد ارتبط بفنونه الموسيقية التقليدية من خلال عاداته وتقاليده الراسخة ولم يفصل عنها مطلقا. وهذا ما تؤكّده الدورة الفنية لحياة العربي منذ مولده وحتّى وفاته.

والمعروف لدى الثقافة القروية العربية أنّ الطفل عند مولده يشكل فرحة عظيمة تدخل البهجة والسرور لدى والديه وذويه، بل وعشيرته والقرية كلّها. فكثيرا ما تُقرض الأشعار وتُدقّ الطبول وتعدّ الولائم وتتدمج المجموعة القروية في فرحة كبيرة.

فالطفل إذن يبدأ مشوار حياته محاطاً بموسيقاه التقليدية مما يؤثّر على أحاسيسه وانفعالاته وتكوينه الوجداني والفكري، ويجعله - خلال مراحل نموه وما يسمعه ويشاهده من الممارسات الموسيقية - ينفعّل بتلقائية تكاد تكون تلقائية قريبة من الفطرية تجاه موسيقاه، خصوصا أنّه نما وترعرع وهو يرى ويسمع عشرات الممارسات الموسيقية طوال دورة حياته والتي تتكوّن من (طفل، صبي، شاب، رجل، شيخ) أي منذ الولادة وحتّى الوفاة.

ونذكر هنا أهمّ المناسبات القديمة والحديثة والتي تمارس فيها فنون موسيقية من التراث الموسيقي، كمثال لما هو قائم في القرية والمدينة والبادية والساحل والجبل بسلطنة عمان. وهذا يتطابق دون شك مع الكثير من العادات والتقاليد في دولنا العربية مثل: مولد طفل وغناء

هدده الطفل والختان واحتفال الأطفال بمنتصف رمضان والأعراس وإعلان النصر وعيد
الفطر المبارك وعيد الأضحى المبارك والمولد النبوي الشريف وشفاء مريض والنذر
والانتقال لمنزل جديد والتسليّة ووقت الفراغ والاحتفال بالضيف وعودة مسافر والحصاد
والأسفار البحريّة وأغاني العمل.

الواقع أنّ لكلّ مناسبة من هذه المناسبات نوعيّة معيّنة من الفنون الموسيقيّة التقليديّة
المرتبطة بها، كما أنّ هناك أنواعاً معيّنة من الفنون تمارس في مناسبات عدّة.

هذا الارتباط العملي والمعنوي بين الشباب القروي وبين موسيقاهم التقليديّة - في
اعتقادي - ما يزال موجوداً في القرية العربيّة ولكن بنسب متفاوتة بين قرية وأخرى في الدولة
الواحدة، وكذلك بين كلّ دولة وأخرى. بمعنى أنّ هناك قرى عربيّة مازالت مرتبطة بموروثاتها
الموسيقيّة بينما هناك قرى أخرى أقلّ ارتباطاً، كما أنّ هناك قرى أخرى قد فقدت الكثير من
الارتباط ممّا يؤكّد أنّ هناك من فقد هذا الارتباط تماماً.

ونعتقد أنّ مصطلح الموسيقى العربيّة يعدّ مصطلحاً حديثاً نسبياً. فلم تعرف القرى
العربيّة هذا المصطلح إلّا بعد انتشار التعليم بمفهومه الحديث وبعد قيام المؤسّسات
التعليميّة العربيّة الحديثة. أما قبل ذلك فإنّ مصطلح الفنون الشعبيّة هو الذي كان سائداً على
أغلب الظن. وفي نظري فإنّ الموسيقى العربيّة هيّ الموسيقى التقليديّة أو الشعبيّة ويجب
علينا أن نؤسّس منها الموسيقى العربيّة فتكون أقرب إلى الشباب العربي لأنّها نابعة منهم،
وهكذا يتمّ وضع اللبنة الأساسيّة لمفهوم الهوية الموسيقيّة العربيّة.

هذا، ويؤكد الواقع أنّه حدث انفصال روحي بين العلاقة الطبيعيّة أو القرية من الفطرة،
والتي ربطت بين الموروث الموسيقي وبين شبابه في الأزمان الماضيّة. وعندما ازدادت الهوة
بينهما، وازداد ابتعاد الشباب العربي عن جذوره الفنيّة، بدأ المهتمون بالعملية الموسيقيّة
يبحثون عن الأسباب وكيفية إيجاد الحلول المناسبة لإعادة بناء هذه العلاقة الحيويّة مرّة
أخرى.

ومن جانب آخر يتضح أنّنا ندرك تماماً أنّ الموسيقى العربيّة بعيدة عن الشباب العربي
وبصفة خاصّة في المناطق الحضرية أو في المناطق الأكثر تمدّناً والتصاقاً بالحضارة
المعاصرة وذلك بسبب تمركز المؤثرات الخارجة عن الحضارة العربيّة في المدن. فالريف
أنتج العظماء العرب في كافّة المجالات العلميّة والثقافيّة الدينيّة وغيرها، ومن الريف نعيد بناء
هويتنا التي ذهب أدراج الرياح.

ونؤكد هنا أيضا أن الموسيقى العربية لا يمكن أن تزدهر وتعود إلى روح الشباب العربي دون أن تكتمل الأجواء المحيطة بها والتي تربط بين الموسيقى العربية وشبابها، أي بين الروح والجسد إن صحّ التعبير. فروح الموسيقى العربية تكمن في الموروث الموسيقي شكلاً ومضموناً. ومن أراد بناء منزل قوي لا بدّ له أن يضع أساساً قوياً ومتيناً أيضاً، ونحن هنا نعني إعادة بناء الموروث الموسيقي إلى واقع المجتمع العربي بأكمله.

والجدير بالذكر في هذا الصدد أيضا أن هناك عدّة حلقات مفقودة علينا أن نعمل على إيجادها وإعادتها أو إعادة بنائها لتكتمل الدائرة، وعندئذ فقط يمكننا أن نعيد بناء صرح الموسيقى العربية بشكل كامل. وهذه الحلقات في نظري، هي التحدي الحقيقي للمخلصين الجادين الذين يهتمون بالعملية التربوية التوجيهية للموسيقى العربية القائمة حالياً.

الحلقات العاملة على إعاقة وصول الموسيقى العربية إلى الشباب العربي

1 - عدم جمع وتوثيق وإحياء الموروث الموسيقي

إنّ جمع وتوثيق الفنون الموسيقية التقليدية عمل جماعي في كلّ زمان ومكان. ولا يكتمل عمل القائمين في ذلك إلا بتضافر جهودهم الفنية والعلمية والتقنية مع جهود المئات وربما الآلاف غيرهم من العارفين بهذه الفنون والمعنيين بأمرها¹.

وكما يتمّ تدوين التاريخ القديم والمعاصر وتوثيقه لتطّلع عليه الأجيال الحالية والقادمة، وكما يتمّ تأسيس وإنشاء المتاحف القومية بأشكالها وأنواعها المتعدّدة، أصبح من الضروري جمع وتوثيق الموروث الموسيقي التقليدي أو الشعبي. وهذا الجمع يعني جمع وتوثيق المادة الخام التي تفتح آفاقاً جديدة تسمح للمتخصّصين بعد ذلك بدراستها وتطويرها طبقاً لمتطلّبات العصر. ولتلك العملية أهميتها القصوى في حياة الشعوب المعاصرة وأجيال أبنائها القادمة.

هذا ومن الضروري أن يدرك القائمون بمشروع جمع وتوثيق الموروث الموسيقي، أنّ الجمع الميداني للفنون الحية الباقية، لا بدّ أن توازيه محاولة جادة لإحياء الموروث الموسيقي المندثر. ولا يتأتّى هذا إلا بمعايشة أبناء المنطقة المستهدفة والبحث والنقاش مع الرواة المسنّين الذين ينبغي عليهم أن يقوموا بتدريب شبابها وشاباتهنّ على الأداء العملي للموروث المندثر غناء ورقصاً وإيقاعاً، وعندما يتمّ الإتقان يتمّ التوثيق ميدانياً تلفزيونياً وفوتوغرافياً

1 - عبد العزيز بن محمد الرواس، كتاب التقرير النهائي لمشروع جمع وتوثيق الموسيقى التقليدية العمانية.

وصوتياً وشرائح ملونة. وبذلك نعيد الفن الموسيقي من رقاده الطويل إلى الحياة مجدداً. وهناك عدة طرق لهذه الخطوة الحيوية أهمها التدريس المنهجي والعمل بالمدرسة وكذلك التقديم المسرحي والبرامج الإذاعية والتلفزيونية وغيرها. وحتى يقبل المجتمع على هذا النمط الجديد لا بد أن يمارس من خلال الفرق الشعبية في احتفالاتها وكذلك فرق الأندية وغيرها. وقد تحقق عملياً بعض مما نقول في المرحلة التالية لجمع وتوثيق الموروث الموسيقي في سلطنة عمان.

وهذا الجمع في الواقع إذا تم بالشكل العلمي الصحيح، بحيث يتولاه مختصون ذو كفاءة عالية، سوف يوفر دون أدنى شك، الأرضية الخصبة لكافة المشاريع الموسيقية بالبلاد، وسوف يعدّ منبعاً للاستثمار العلمي والثقافي بكل ما يعنيه من مفاهيم علمية قياسية على كافة المستويات المحلية والإقليمية والدولية.

والجمع الميداني للموروث الموسيقي في حقيقته يؤدي إلى حصيلة لا بأس بها من أفلام الفيديو والأشرطة الصوتية والوثائق المكتوبة والشرائح الملونة والصور الفوتوغرافية.

2 - عدم جمع وتوثيق الشعر المغمى في الفنون الموسيقية التقليدية

إلى جانب جمع وتوثيق الموروث الموسيقي يتطلب الأمر أن ينهك فريق عمل ميداني آخر في إجراء لقاءات مركزة مع الشعراء والرواة الذين يحفظون المقطوعات الشعرية الكثيرة التي تغنى أثناء ممارسة الفنون الموسيقية التقليدية للمنطقة المستهدفة.

هذا وقد ذكر الأستاذ الدكتور يوسف شوقي - رحمه الله - في كتاب التقرير النهائي لجمع وتوثيق موسيقى عُمان التقليدية "فنون عُمان التقليدية سجل كامل لحياة أهل عُمان. ففي كل شلة (بيت شعري) من شلات غناء العُمانيين وفي كل مناسبة - وما أكثر تلك المناسبات - قصة حدث سواء أكان حدثاً قومياً أو حدثاً قُبلياً أو حدثاً شخصياً".

وعندما يتم فرز وأرشفة المقطوعات الشعرية يتضح أننا أمام تاريخ سياسي واقتصادي وتاريخي واجتماعي وفني راقٍ للغاية وبكافة أبعاده الظاهرة والباطنة. وعقب ذلك يتم إصدار مجلدات مبنية تحوي كافة الأشعار مع تعليقات تفيد المعنى والمناسبة لكل بيت أو ديوان شعري بحيث يستفاد منها في إعداد المناهج الدراسية ومنها يستلهم الشعراء في بناء أشعارهم وكمراجع ذي فوائد عديدة لا تحصى.

ويجدر الذكر أن هذه الأشعار، كما هو معروف، تتسم بالدقة والجمال التعبيري والصدق في وصف الحدث أو الواقعة. وهذه دون شك أمور تتسابق في خلق السرور وإدخال البهجة إلى النفوس التواقّة لها كما أنّها تعدّ البوتقة الكبيرة لأحاسيس وانفعالات الفرد والجماعة عبر العصور والدهور. فما أجمل أن يتغنّى بها شبابنا من المطربين والمطربات وكذلك أبناءنا في المدارس والمنازل، وكذلك الطبقات الكادحة بأنواعها وأشكالها الكثيرة. وهي من جانب آخر أقرب الطرق للوصول إلى قلوبهم وعقولهم حيث تتسرّب إليهم بسهولة وسهولة شديتين وتستقرّ داخلهم بمحبّة حقيقية.

3 - عدم تدريس الموروث الموسيقي منهجياً

يتطلّب الأمر، كجزء من السياسة العامة للوصول الموسيقي العربيّة لأجيال شبابها، أن تُدرس لتلاميذنا أنماط الموروث الموسيقي وأنواعه منذ المرحلة الابتدائية وحتى المرحلة الثانوية، وأن يتمّ هذا بشكل منهجي علمي مدروس بعناية شديدة وذلك بهدف خلق الارتباط الثقافي والحسي بين الموروث الموسيقي وأجيال الشباب العربي.

ويستحيل أن يتأتّى هذا قبل أن تكون الدراسات والبحوث الميدانية الجادة عن هذه الفنون قد أعدت بشكل علمي هادف. بمعنى أن تكون هذه الدراسة شاملة لمفاهيمها التاريخية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية. مع وضع النوات الموسيقية لكلّ نوعية من أنواع الموروث الموسيقي بحيث تدرّس لأبنائنا في حصّة التربية الموسيقية بشكل عملي ومنهجي أيضاً.

وسوف تسهم هذه الآلية الهامة، إذا ما طبّقت بشكل علمي مدروس، في ربط الجيل بموسيقاه الأصيلة، فيزداد تمسكاً وفهماً لها كما يتمسك بفهم الرياضيات واللغات والاجتماعيات وغيرها مما يدرّس له في المناهج الدراسية عبر مراحلها العديدة.

4 - ضعف دور المدرسة

لا ينتهي دور المدرسة عند تدريس المنهج الموسيقي فقط، بل يتعدّى ذلك إلى التركيز على أهمية أن:

- تتم إقامة أنشطة عملية للموروث الموسيقي في هيئة تدريب التلاميذ والطلاب على ممارسة الموروث الموسيقي أثناء حصص الألعاب. ويفضّل أن يحدث هذا على يد العارفين لهذه الفنون أي على يد أهل الفن الموسيقي نفسه.

- يتم إجراء مسابقات دورية في أحسن العروض الفنية بين الفصول وتقديم مكافأة للفصل صاحب الأداء المتميز.

- يتم استغلال المسرح المدرسي في تقديم عروض موسيقية من الموروث الموسيقي سواء في المناسبات القومية أو غيرها من المناسبات.

- يتم تكوين فرقة مدرسية للفنون الموسيقية الموروثة لتمثيل المدرسة في المسابقات والملتقيات الفنية بين المدارس المختلفة داخل الدولة الواحدة ومكافأة الفرق الفائزة.

- يتم إعداد المسابقات الفنية بين الفرق المدرسية الفائزة في كل دولة عربية كما يحدث تماما في مسابقات فرق أندية كرة القدم العربية، وبحيث تقدم الجوائز للفرقة الفائزة فنيا وثقافيا.

5 - عدم إنشاء المراكز المتخصصة للموسيقى التقليدية

يفترض أن تضم المراكز المتخصصة للموسيقى التقليدية مجموعة الحويلة الميدانية لمشروع جمع وتوثيق وإحياء الموروث الموسيقي. وهذه تعني أشرطة المواد الخام التي جمعت ميدانياً، وكذلك المواد الصوتية والصور الفوتوغرافية والشرائح الملونة والوثائق المكتوبة ميدانياً.

ومن وظائف هذه المراكز متابعة حركة الموروثات الموسيقية جمعاً وتوثيقاً ودراسة، هذا بالإضافة إلى إعداد البرامج الإذاعية والتلفزيونية وكتابة المقالات الصحفية. ومن جانب آخر التشديد على أهمية فتح المركز كمرجع للباحثين والدارسين من كافة الجنسيات. كما تعنى هذه المراكز بالمشاركات الدولية لتقديم ثقافة الموروث الموسيقي في الندوات والمؤتمرات عبر البحوث والدراسات الميدانية غير الخاصة بالموروث الموسيقي، كما أن المجال هنا لا يسمح لتقديم الفوائد الثقافية الجمة لهذه المراكز.

وقد فاز مركز عُمان للموسيقى التقليدية عام 2001 بجائزة اليونسكو الدولية للموسيقى بعد جهود مضيئة بذلها في حقل الموروث الموسيقي التقليدي، وذلك تقديراً لجهوده جمعاً وتوثيقاً وأرشفة ونشاطاً في حقل الموروث الموسيقي العماني، هذا بالإضافة إلى الأنشطة العديدة محلياً ودولياً.

وتعد هذه المراكز في حقيقتها بمثابة أندية ثقافية لأجيال الشباب العربي في ممارسة هوايتهم الفنية أكاديمياً وثقافياً وترفيهياً أيضاً. فهي المرجع الثقافي للدراسات والبحوث

العملية والتطبيقية للموروث الموسيقي. فالمراكز تستقبل الطالب الباحث والعالم المتخصص والملحن الموسيقي والمؤلف الشعري والمواطن العادي، كما تستقبل الهيئات الحكومية والمؤسسات الخاصة وتتعامل أيضاً مع الجامعات والمراكز المناظرة محلياً وإقليمياً ودولياً.

6 - وسائل الإعلام

تلعب وسائل الإعلام وبصفة خاصة القنوات الفضائية الغربية وبعض القنوات العربية دوراً خطيراً للغاية في التأثير على العادات والتقاليد العربية. حيث تبتّ بعض البرامج التي تعمل على تكوين بيئات نفسية جديدة تستقرّ في قاع النفس، فتغرس بسهولة شديدة كل رديء يقود إلى التقليد السريع للناشئة والشباب وحتى بعض الكبار. فتؤثّر على أفكارهم وطريقة إدراكهم وتقودهم بعيداً عن العادات والتقاليد العربية المبنية على الفطرة السليمة.

ويتطلّب هذا الأمر تدخل الدولة للعمل على دراسة الواقع والعمل على وضع حدّ جذري لكافة الممارسات الإعلامية غير الصحيحة، حيث أصبح أبنائنا يقلّدون الممارسات الموسيقية وغير الموسيقية الغربية دون وعي بل دون إدراك لحقيقة هذا التقليد.

وما يقال عن البرامج التلفزيونية يقال أيضاً عن البرامج الإذاعية مع اختلاف أنّ التلفزيون أكثر قوة وتأثيراً على مشاهديه.

والتحقيق الصحفي التالي نشر في ملحق "أجيال" الصادر عن صحيفة عمان يوم الاثنين 9 من محرم 1425 هـ الموافق 1 من مارس 2004م وهو يبيّن باختصار شديد جانباً مما نريد توضيحه، إذ لا حاجة لنا إلى التعليق حيث يتحدّث التحقيق عن نفسه، ونعرض العناوين أولاً:

* انتبهوا: بعض شبابنا يؤدّي "الراب" في أماكن عامة.

* يؤدّون حركات بهلوانية قد تضرّ بهم وتصيبهم بالكسور.

* انسياق وراء التقليد الأعمى.

* لا يعرفون ما يؤدّونه ولا يعرفون الهدف منه.

وفي التحقيق مع بعض الشباب عبّروا عن آرائهم والتي نوجزها لكم في العبارات المركزة التالية:

* "أنا أحاول أن أودّي بعض الحركات الرياضية بمصاحبة الموسيقى ولكنّي لا أدرك ما يردّه المغني، أمّا الملابس فإنّنا نرتدي ما نرى الشباب أو الراقصين يؤدّونه من خلال الفضائيات أو الأفلام سواء تلك التي تبثّها الفضائيات أو التي نشاهدها عبر الفيديو".

* أمّا شاب آخر يدرس في مدرسة للصمّ والبكم بالصف الثاني الإعدادي وهو يعاني من صعوبة بالغة في السمع مع لعثمة في النطق فقد أكّد قائلاً: إنّها رياضة وهي تكسبني قدرة على التوازن وشهرة في أوساط الشباب، وقد أصبح لديّ كثير من المعجبين وأنا افتخر بهذا الأداء. أمّا عن ملابسني فهي الموضة الموجودة - وإن كان ما يعرفه هو أنّه يشاهد مغني الراب وهم يقومون بهذه الحركات وهو ويحاول تقليدهم، كما أنّه ينفي أيضاً معرفته بالكلام الذي يقال في الأغنية.

هذا وأكّدت الصحيفة: "أنّ التيكنو أو الراب البرازيلي هو تعبير بالصوت والحركة وبكلمات سوقية وبحركات بهلوانية رياضية، ومن أشهر محترفيه مايكل جاكسون. ولكن الدراسات التي قدّمت حول الراب أكّدت أنّه يمثل سلوكاً اجتماعياً ونمطاً حياتياً يعمل على تطبيع الانحراف والجريمة التي يفرضها التفاوت الطبقي في أميركا".

وأضافت: "إنّه في زحمة التغريب الثقافي الذي يشهده العالم العربي وما تروّجه القنوات الفضائية لهذا النوع من الموسيقى الراقصة التي تفتقد إلى القيمة والمعنى بل وتتسم بالسطحية ولكنّها غزت كلّ مكان في عالمنا العربي بلغة سوقية تصاحبها رقصات هستيرية فيها كثير من العنف أيضاً".

7 - عدم إنشاء أقسام علم موسيقى الشعوب (Departments of Ethnomusicology)

علم موسيقى الأجناس أو علم موسيقى الشعوب هو العلم الذي يختصّ بدراسة الظاهرة الموسيقية ميدانياً وتحليلها من كافة جوانبها التاريخية والاقتصادية الدينية والسياسية. فالمعروف أنّ الموسيقى لم تنبع من فراغ بل نشأت في الوسط البيئي الإنساني فعاشت متأثرة ومؤثرة لمحيطها. وجامعاتنا في حاجة حقيقية إلى إنشاء هذه الأقسام الأكاديمية الحيوية أسوة بالغرب وأميركا، فمن غير المنطقي أن يقوم أبنائنا بدراسة الظواهر الموسيقية العربية عبر الجامعات الغربية أو الأميركية.

8 - عدم دعم الفرق الموسيقية الشعبية

وحتى تكتمل الدائرة ينبغي أن يتم توفير الدعم المالي والإعلامي الجماهيري للفرق الموسيقية الشعبية. وهذه الفرق تنقسم عادة إلى فرق محترفة وأخرى غير محترفة. فالمحترفة هي التي تقتات من تقديم الثقافة الموسيقية التقليدية عبر الاحتفالات الخاصة

والعامة. أمّا الفرق غير المحترفة فتتنشأ في الوسط الاجتماعي وتمارس الموروث الموسيقي بدون مقابل، حيث يقوم الأهالي بممارسة موسيقاهم من تلقاء أنفسهم حباً وهياماً بها. فقديمًا انطبق مفهوم أنه "لا زواج دون أن يحيه الموروث الموسيقي". واليوم اختلف الأمر كثيرًا حيث غزت معادل الموروث الموسيقي احتفالات من نوع آخر. ويحدث هذا بنسب متفاوتة بين قرية وأخرى أو بين مدينة وأخرى.

ومن جانب آخر اختفت كثير من الفرق الشعبية من الوجود لأسباب عديدة أهمها الافتقار إلى الدعم المعنوي والمالي والجماهيري والإعلامي.

وهذا لا ينفي وجود فرق موسيقية ممتازة في دولنا العربية تقدّم الثقافة الشعبية الموسيقية بشكل حديث وبنجاح كبير، بل وتلقى قبولاً جماهيريًا وإعلاميًا لا بأس به، كما تفعل فرق الدبكة والعرضة والرزحة وفرقة رضا والبحيرة والسلمية والطنبورة، وغيرها كثيرًا من الفرق الموسيقية الشعبية المنتشرة في دولنا العربية.

9 - عدم حيوية أدوار المؤلف والملحن والمطرب

يلعب الثلاثي الفني الذي يجتمع في عمل موسيقي واحد دوراً حيوياً للغاية في قضية إحياء التراث الموسيقي ودعمه وصقله وتطويره في الوسط الاجتماعي المحلي والإقليمي والدولي. فمؤلف الأغنية أو الشاعر عليه أن يدرس محيطه الاجتماعي دراسة وافية ومن كافة النواحي، وذلك بهدف معرفة اتجاهاته الفكرية وتركيباته النفسية والبشرية، وكذلك أحاسيسه الذاتية، وبناءاته الدينية واتجاهاته السياسية والتاريخية والفنية. ومن هذه الدوائر الحساسة يؤلف كلماته وهي مبنية على أساس ثقافي راسخ، بحيث يقصد في شعره فئة معينة أو عدة فئات أو يقصد المجتمع كله.

ومن هنا تصل كلماته وهي قاصدة لمعاني عديدة كالإصلاح والتوفيق والجمع والتوجيه والتوحيد والتسلية وغيرها كثيراً، وبذلك تصل وتسمع وتستقر في القلوب والنفوس. والواقع أن مؤلف الأغنية عليه أن يغوص في بحر الشعر النبطي المغنى في الموروث الموسيقي ليرى بنفسه التاريخ الاجتماعي لمحيطه وهو الشامل لكافة مجالات الحياة، وعليه أن يركب إلهاماته لتكون ممزوجة بنبض مجتمعه. فعند بث الأغنية ينفع المستمع عندما تكون الأغنية تتحدث عنه من قريب أو بعيد فتستقر في نفسه ويتعلق بها حتماً.

أمّا ملحن الأغنية فعليه أن يسلك الطريق ذاته فيتعرف على معطيات محيطه الاجتماعي ويسرح في اللحن النابع منه لأنه أقصر الطرق إلى نفس وقلب المستمع الذي يستهدفه.

أما المغني أو المطرب فهو الأداة الثالثة والمكمل لجهود الشاعر والملحن. فبصوته الشجيّ يجذب ويؤثّر ويطرب مستمعيه، ولكن بشرط أن تكون أدوار زميليه، أي الشعر واللحن، قد استقرّت في البوتقة الفنية التي لا شك أنّها تعمل على الوصول إلى قلب الشباب العربي بل والمجتمع العربي كله.

عوامل دعم تواصل الموسيقى العربية مع تراثها الفني

إنّ تنفيذ العوامل المعيقة لوصول الموسيقى العربية لجيل الشباب العربي - المذكورة آنفاً - هي الوسيلة الوحيدة في نظرنا لدعم وتواصل الموسيقى العربية مع تراثها الفني. ونعتقد أنّه لا بدّ من أن تتخذ قرارات على أعلى المستويات لتوفير الدعم والخبرة العلمية والمتطلبات المالية اللازمة لتنفيذ المشروع في إطار تنسيق دقيق مع الأقطار العربية وأجهزتها ومؤسساتها المعنية، فهذا مشروع قومي لا يقلّ أهميّة عن القرارات القومية الأخرى.